

المصالح والمنافع * فهي على كونها عرضاً يتلاشى في الهواء * جذيرة بان
تدل على السخرية والاستهزاء * كوصف النذل الجبان * بأوصاف الشجعان *
وكاطلاق القاب اكابر العلماء * على سفلة الجهلاء * فقالوا لها ان الشرف
والمجد * ما قبول صاحبه بالتعظيم والحمد * ولا يشترط عندنا ان يطابق مدحه
الواقع * ولا ان يكون مظهرًا للمنافع * فخير للمرء ان يؤذى فيكرم ويهان *
من ان ينفخ فيؤذى ويهان * فقالت اما وقد فدت هكذا الطباع * وتغيرت
كما ذكرتم الاوضاع * فقد بطل الدليل والمدلول * وظهرت العلة والمعلول *
وتبين انه لم يبق من شرف لهذه الوسامات * ولا لأكسية التشريفات *
بل ربما دلت على خسة ذويها * وسخافة رأي الراغبين فيها * وارى من
الفضيلة التناهي عنها * وتطهير صندوقي منها * ثم ألقها وتخلت * واذنت لربها
وولت * فهافت لالتقاطها الاشرار * فهافت الفراش على النار * فكان
الشرف بهذه الاشياء * من نصيب هؤلاء * وما اصاب بعض الكرام * من
رتبة اووسام * فاعما كان بالمصادفة والاتفاق * لالكونه من اهل الاستحقاق *

﴿ استهاض همم ﴾

(١٤)

ان ما ذكرنا من حركة خواطر المسلمين وتاجي ارواحهم في اصلاح شؤونهم
لا بد ان يعقبه انصلاص عزائمهم وتحفز همهم للوثوب فيندفعون وراء الاعمال اندفاع
الليل المنهمر . تتحاور علماءؤهم في شأن العلوم الاسلامية الدينية واللغوية وتقيحها
وميز كل علم عن آخر ووضع تأليف جديدة سهلة المأخذ خالية عن الركافة والتعقيد في
كل فن مرتبة على حسب مقدرة الطالاب ونيس مالا سلافا من الآثار والتأليف النفيسة
التي اودع فيها طرائق السلف الصالح واعمالهم واخلاقهم وادابهم ومشاربهم ونشرها بين

الكفة ليتنموا بها واحياء العلوم الادبية والاخلاقية والتاريخية وحمل الطلاب والناشئين على دراستها ثم النظر في طريقة التعليم وتحسينها وجعلها بحيث تمكن الطلاب من تحصيل العلم الاسلامي بمدة قصيرة ثم اذا رأي بعض أولئك الطالبين من نفسه ميلا للتبحر في العلوم الاسلامية والتعمق فيها أو الاختصاص (*) في علم واحد منها والتوسع فيه كان له ان يكتب على نقصي الأبحاث في مسائل تلك العلوم او ذلك العلم والوقوف على ما قاله المتقدمون والمتأخرون وما حرره أرباب الشروح والحواشي ومن آانس من نفسه تجافياً عن التوسع في تلك العلوم وانخرالا دون تتبع أبحاثها وتأثر نتائجها حتى له ان يكف على دراسة الفنون العصرية في كتب مؤلفة لهذه الغاية ويتخير له علما منها يخصص فيهم ويتضلع من مسائله فيستفيد منه ويفيد اهل وطنه وأبناء قومه

لانهمك الطلبة في علوم عقيمة لا تنتج فائدة ولا تبهت على عمل . العلم هو ما يربي في نفس العبد ملكات فاضله واخلاق شريفة تحركه في تحصيل ما به منفعة تعود على ذاته بالحير الدنيوي أو الاخروي أو مصلحة عامة تورث مجموع الامة مجداً وسعادة وعزاً وسيادة العلم ما يتوقف عليه انتظام مصالح البشر ويحتاجون اليه في قيام شأنهم وحسن معيشتهم وراحتهم . ليس من العلم الا فاع في شيء العلم الذي يضعف قوة العقل الحاكمة ويوهنها ويقتصر اثره على تقوية الذاكرة وتسميتها . ليس من العلم في شيء علم من ينفق عمره ويبدل ثمين وقته في تفهيم اساليب المتقدمين أو المتأخرين وتحايل عباراتهم وتفكيك عمد أبحاثهم وتصحيح انزالهم وتأويل أو هامهم

هذا ما يخلق بالعلماء ان ينظروا فيه ويتوخوا اصلاحه ومداركة خلاله . والتمرنون على الخطابة منهم يعظون العامة في المحافل والجامع ويحثونهم على العمل والنشاط في الكسب ويوقظون افكارهم من سدة الغفلة ويشعرون بقلوبهم هم العزة والتخوة ويشربونها حب المجد والميل الى المعالي ويفهمونهم انهم لم يزالوا يمد في مرتبة الانسانية وان مزاياها الفاضلة لم تنزل متأصلة في نفوسهم وان تلك المزايا قد يورثونها لخلائقهم واعقوبتهم فتقوى فيهم وربما ينشأ عنها في بعضهم اعمال شريفة تكون عاملة في نهضة الامة ونشالها من

(*) الاختصاص مصدر خصي يخصص اذا تعلم عالماً واحداً واقتصر عليه

حضيض الخمول الى يفاع القوة والسيادة. لا ريب ان مثل هذا الكلام يحض العامة على النظر ويبعث همهم للعمل ويحجب اليهم تربية الطفاهم وتخرج احداهم في العلوم والآداب فينتشر التعليم والتهديب بين الدهماء وسواد الامة الذين هم حقيقة الامة ومنهم تتكون هيئتها ويرتفع بنيانها. وينشئ الكتبة البارعون المقالات المسبهة في العصر ومقتضياته وفائدة التعاون والتكاتف في قيام المشروعات الكبرى ويبنون لهم كيف يشرعون ومن أين يتبدأون ويقوم ذوو اليسار والمال بتأسيس جمعيات خيرية وشركات مالية تبارى في خدمة الامة والاخذ بعضها كل منها يبادر الى عمل أو مشروع بعلم احتياج الامة اليه وتوقف نهضتها عليه ووراء ذلك الساطعة الوازعة تحدو بالمقصرين وتأخذ بحجز المعتدين الجأزين الى آخر ما تكفلت باستيفاء تفاصيله وايضاح طرائقه صحائف مجلة المنار الغراء

أما والله لو هبت الامة للاصلاح كما ذكرنا وخف كل فرد من افرادها للعمل كما شرحنا واستقاموا على الطريقة التي نهجها الله تعالى لاسعاد الامم وقيام الدول لما اتى عايبها من الزمان الا مثل ما أتى على أمة اليابان حتى تراحم السابقين وتسود مع السائدين وتأمين على جنسيتها ولفتها وتبوا مستقبلها متبوا رحباً

فما أتمت كلامي حتى اعترض الحديث معترض يسأل كيف يتسنى للإامة العمل والنهوض وهذه عقبان المطامع تحوم حول البلاد وتهم بالهوي عايبها لتزريقها واختطاف اشلائها؟ ام كيف ينفسح الوقت للشروع في الاصلاح وأراه لو انفسح للشروع فيه لا ينفسح لانجازها والتمتع بنتائجها فالفائدة اذن من العمل ولماذا تنضي الغزائم ونعي الهمم في تحصيل ما نصد عن اتمامه ونرد دون بلوغ غايته

ومذ سمعت مقاله هذا القانط الساخط وجمت (١) وحسبت (٢) وقلت ان بين أيدي العاملين نهزة تكفي بمعونة الله لوضع مقدمات الاصلاح والانتفاع بنتائجها واجتناء ثمراتها لكن عليهم ان يقتنموا تلك النهزة ويسارعوا لاختلاسها قبل جوحها وشماسها وقد استبان للقاري مما المنابه من شؤون الولايات العثمانية ومطامع الدول فيها ان الاضطراب السياسي والانشقاق الداخلي بلغا مبلغهما في ولايتي الارمن ومكدونيا بحيث

(١) وجمت سكت على غيظ عابسا مطرقا لشدة الحزن (٢) قات حسبي الله

تذهب النفس الى ان الزمان قد لا يفسح لترقيتهما قبل ان يختزلا من بين اخواتهما اما
سائر الولايات التركية والعربية فليست بهذه المثابة وان كانت مبهدة بالآخطار ومحتفة
بالاطماع فالمدّة بين يديها افصح . والامل في حفظ استقبالها ووقاية استقلالها
اقوى وارجح

باب التعليم

(تعليم النساء)

كانت المرأة مهضومة الحقوق يعاملها الرجال بالاستبداد في جميع الاجيال والاعصار
حتي جاء الاسلام فسوى بين الرجل وامرأته في جميع الحقوق والواجبات الا انه جعل الرجل
كافلا للمرأة واعطاه حق الولاية العامة لقوته وضعفها فتقال القرآن (ولهن مثل الذي عليهن
بأنعروف وللرجال عليهن درجة) بل رفقت الشريعة الاسلامية بالمرأة فوضعت عنها
بعض العبادات في بعض الاوقات . ونمساوت به بينهما وجوب التعليم فجعلت طلب العلم النافع
فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولكن المبادئ التي وضعها الاسلام لترقية النساء لم يعتن بها
المسلمون العناية التي تؤدي الى بلوغ غاية الكمال كما كان شأنهم في كثير من المبادئ
والقواعد الاجتماعية العامة التي شغلوا عنها بالتوسع في سواها مما لا يستحق اكثره العناية مثلها
وما صدرهم عن مثل هذا الا ما ورثوه من العادات عن اسلافهم . ولما كانت اصول الكتاب
والسنة المادحة للعلم والمرغبة فيه والحائنة عليه تشمل الرجال والنساء كما هي القاعدة الاصلية
في الدين الاسلامي زعم بعض الفقهاء ان طلب العلم لا يشمل طلب الكتابة (الخط)
ولا يقتضيه ثم اوردوا احاديث تدل على منع النساء من تعلم الكتابة ولما لم يعترف لهم المحدثون
بصحة شيء منها رجعوا الى قياسهم فزعموا ان في تعلمهن الكتابة مفاسد تقتضي كراهتها
على الاقل . وقد اورد عليهم المعارضون حديث الشفاء بنت عبدالله قالت دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال لي الا تعلمين هذه رقيقة
التماه كما علمتها الكتابة رواه الامام احمد وابوداود والنسائي وابونعيم والطبراني ورجاله
ثقات . فأجاب الذين تمسكوا باحاديث النبي بأن هذا الحديث يدل على الجواز وتلك تدل